الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة زيان عاشور بالجلفة

كلية الآداب واللغات والفنون
قسم الفنون

مطبوعة دروس خاصة بمقياس :

الفن والهوية

دروس موجهة إلى طلبة سنة أولى ماستر

تخصص نقد تشكيلي

السداسي الأول

إعداد الدكتور:

◄ تربش عز الدين

السنة الجامعية

2024/2023م

مقدمة

إن الفن يستدرج المعنى من خلف ما يُرى، ومن بين الظلال والرموز والممنوع.. إنه يُهدينا كذلك، أسباب الاندهاش والانبهار، ونحن نستكشف من خلاله أنفسَنا من جديد، ونتعرف على الأشياء والألغاز من زوايا لا يقوى على النفاذ إليها واستكشافها والمسك بأسرارها، وبالقدر الذي يمنحنا الفن النشوة في لذاذة ذهنية وبصرية متناهية، يجعلنا كذلك نتحير ونضيع حين ينغلق أمامنا الأفق فيه، أفق الرؤية والتأويل، كما يمدنا الفن بالحرية والانطلاق دونما قيد، ويهدينا الإمتاع والجمال، كما يستدرجنا، في نفس الآن، للحيرة أمام فواجعنا وخيباتنا ، إذ يستنطق الهواجس للسؤال وطرق أبواب المجهول في الأشياء وفي ذواتنا، واستيضاح الفكرة من بطن ضباب الوهم .

الهوية تمد الوجود بوجودها، وتكرس الأنا والـ"هُنا"، وتعضد جدواهما. الذات أنت، ففقدك لهويتك استئصال لجذور ذاتك والعروق، وانتفاء بصمة التعرف عليك، وعن معناك وإياها؛ إذ يعني ذلك أن تغور في اليتم وتتوغل في النسيان، مثلما الحَرف يُنتزع من الكلمة،

رغم ما تبدو عليه الهوية من أهمية، ومن جليل القدر والمكانة في ترسيخ "الأنا" والـ"هُنا"، وتوطيدهما وجوديا وحضاريا، لا تفتأ الهوية (فضلا عن مفهومها) تعترضها مخاطر مصيرية، تتهددها بالانتكاس والتحلل والاندثار؛ ذلك جراء اجتياح "المعاصرة العولمية للعالم، والتوحد المعرفي والثقافي الكوني..

من الطبيعي أن يكون لكل فن خصوصياته وتميزاته الذاتية المشكلة لهويته الجمالية، تلك التي يستمدها من البيئة الاجتماعية الحضارية بكل روافدها المختلفة: التاريخية والثقافية والمعرفية والتربوية والدينية والجغرافية.

محاضرة رقم 01

1- مفهوم الهوية:

1-1 تعريف الهوية:

الهوية مأخوذة من (هوَّ...هوَّ). بمعنى أنها جوهر الشيء، وحقيقته لذا نجد الجرجاني في كتابه (التعريفات ، يقول عنها. بأنها الحقيقة المطلقة المشتملة على الحقائق. اشتمال النواة على الشجرة في الغيب.

فالهوية هي الإحساس بالانتماء إلى جماعة أو امة. لها من الخصائص والمميزات الاجتماعية والثقافية والنفسية والتاريخية التي تعبر عن نسيج أو كيان ينصهر ويندمج في بوتقة جماعة بأكملها.

ومفهوم الهوية نجده متعلقا بمفهوم الثقافة في مجال التعريفات التي تناولته، فهو مفهوم تاريخي ثقافي يتكون لدى الفرد من خلال الثقافة التي يحيا بها. فدور الثقافة بكل ما تحمله من معاني هو تكريس هو بثقافية، "فهوية الإنسان أو الثقافة أو الحضارة هي في جوهرها وحقيقتها. ولما كان في شيء من الأشياء- إنسانا أو ثقافة أو حضارة والثوابت والمتغيرات، فإن هوية الشيء هي ثوابته، التي تتجدد. لا تتغير تتجلى وتفصح عن ذاتها، دون أن تخلي مكانها لنقضيها طالما بقيت الذات على قيد الحياة".

فالهوية هي موضوع سيرورة شأن الوجود، إنها موضوع ينتمي إلى المستقبل بقدر ما ينتمي إلى الماضي، "فهي صورة الفرد عن موقعه على هذه الخارطة. وعلاقاته مع كل أجزاء تلك الخارطة. بحيث يكون لتلك العلاقة قدر الإمكان، استمرارية عبر الزمان والمكان، والفروق في علاقاته مع الأجزاء المختلفة. من تلك الخارطة تكون انتماءاته المختلفة لوحدات أو أجزاء تلك الخارطة، ويكون ضمن الخارطة فهم الفرد لطبيعة أجزائها. وضمن ذلك فهمه لطبيعة الإنسان وطبيعة المجتمع. وطبيعة جميع الوحدات داخل المجتمع" فالتراكم التاريخي ضروري لصنع الهوية الثقافية. لأنها في النهاية هي المستوى الناضج الذي بلغته المجموعات البشرية نتيجة تفاعل لمدة زمنية طويلة. بين أفرادها وبين الظروف الطبيعية التاريخية التي مرت بها والتي نسجت فيها بينها روابط مادية وروحية مشتركة، "فالهوية من أهم السمات المميزة للمجتمع، فهي التي تجسد الطموحات المستقبلية في المجتمع، وتبرز معالم التطور في سلوك الأفراد وانجازاتهم في المجالات المختلفة بل تنطوي على المبادئ والقيم. التي تدفع الانسان إلى تحقيق غايات معينة، وعلى ضوء ذلك فالهوية الثقافية لمجتمع ما، لا بد وأن تستند إلى أصول تستمد منها قوتها وإلى معايير قيمية ومبادئ أخلاقية وغايات سامية تجعلها مركز للاستقطاب العالمي والإنساني"

فالهوية هي الثابت الوحيد، وذلك عبر الاحتفاظ بابنية ثقافية تحملها اللغة على الأجيال اللاحقة كي تسكنها وتتولى تعديلها أو إعادة إنتاجها، وفق حاجاتها وشروط تطويرها. ويرى عابد الجابري أنه: "لا تكتمل الهوية الثقافية ولا تبرز خصوصيتها، ولا تغدو هوية ممتلئة قادرة على نشدان العالمية إلا إذا تجسدت مرجعيتها في كيان تتطابق فيه ثلاثة عناصر. الوطن (الجغرافيا والتاريخ) الدولة (التجسيد القانوني لوحدة الوطن والأمة). والأمة (السب الروحي الذي تنسجه الثقافة المشتركة".

أما العلاقة بين الهوية والثقافة فإنها تعني علاقة الذات بالإنتاج الثقافي ولاشك أن أي إنتاج ثقافي لا يتم في غياب ذات مفكرة. دون الحوض في الجدال الذي يذهب إلى أسبقية الذات بالإنتاج الثقافي "حتى لو ارتبط مفهوما الثقافة والهوية بمصير واحد، فليس من السهل خلط أحدهما بالآخر، إذ يمكن للثقافة أن تعمل بدون وعي للهوية. بينما يمكن لاستراتيجيات الهوية أن تعالج الثقافة أو تغيرها".

فالهوية الاجتماعية لا ترتبط بالأفراد فحسب. فكل جماعة تتمتع بهوية تتعلق بتعريفها الاجتماعي وهو تعريف يسمح بتحديد موقعها في المجموع الاجتماعي "فمسألة الهوية الثقافية تحيل منطقيا، وللوصلة الأولى إلى المسألة الأوسع، مسألة الهوية الاجتماعية التي تعد الهوية الثقافية إحدى مكوناتها". فالفرد داخل الجماعة الواحدة هو عبارة عن هوية متميزة ومستقلة. عبارة عن أنا لها آخر داخل الجماعة نفسها "فيمكن للهوية أن تحيل بالضرورة إلى المجموعة الأصلية التي ينتمي إليها الفرد والأصل أو الجذور وفقا للتصور العادي هو أساس الهوية الثقافية أي ما يحدد بشكل أكيد وأصيل".

ثم علاقة وثيقة بين المفهوم الذي تتصوره عن الثقافة وبين مفهومنا للهوية الثقافية. أولئك الذين يعرفون الثقافة بـ "طبيعة ثانية" تأتينا بالوراثة ولا يمكننا الهروب منها. يرون في الهوية معطى من شأنه أن يحدد الفرد بشكل نهائي. "فالهوية الثقافية هي حجر الزاوية في تكوين الأمم، لأنها نتيجة تراكم تاريخي طويل، فلا يمكن تحقيق الوحدة الثقافية بمجرد قرار حتى لو توفرت الإرادة السياسية".

فالإشكالية المطبقة على الهوية الثقافية يمكن أن تؤدي إلى جعل الأفراد والجماعات عنصرين. وبما أن الهوية محفورة في الإرث الوراثي كما يقول البعض. ففي "الدراسة الثقافوية نحن لا نستند إلى الإرث البيولوجي، الذي لا يعد حاسما، بل على الإرث الثقافي، وعلى هذا فإن النتيجة تكون نفسها تقريبا، لأن الفرد تبعا لهذه المقاربة مضطر إلى استبطان النماذج الثقافية المفروضة عليه، لأنه لا يستطيع إلا التماهي لجماعته الأصلية، وهنا تعرف الهوية. على أنها سابقة في وجودها على وجود الفرد وتبرز الهوية الثقافية ملازمة للثقافة الخاصة"، وبالتالي فإننا نسعى إلى وضع قائمة بالخصائص الثقافية التي يمكن أن تشكل

حاملا للهوية الجماعية، أي هويتها الأساسية الثابتة "الهوية الثقافية هي هوية أولية أساسية" لأن الانتماء للمجموعة العرقية هو أول الانتماءات الاجتماعية وأكثرها جوهرية، ففيها تنعقد أكثر الروابط تحديدًا، لأن الأمر يتعلق بروابط قائمة على السلالة المشتركة في كنف الجماعة، يتم تقاسم أعمق المشاعر والتضامنات وأكثرها قدرة على تحديد هيكل الجماعة"، فهي ليست وهما يتعلق بمجرد ذاتية الفاعلين الاجتماعيين، إن تكوين الهوية يتم داخل الأطر الاجتماعية التي تحدد موقع الفاعلين وتوجّه تصوراتهم وخياراتهم، ومن جانب آخر فإن تكون الهوية ليس وهما لأنه يتمتع بفاعلية اجتماعية وله آثار اجتماعية حقيقية.

"ومن خلال هذه التعريف تبدو الهوية الثقافية بمثابة ملكية أساسية لازمة للجماعة. لأن هذه الجماعة تقوم بنقلها عبر أفرادها وإليهم دون الرجوع إلى الجماعات الأخرى، ويكون اكتساب الهوية بمثابة تحصيل حاصل"

وقد تفاوت تحديد الهوية في العصر الحديث بين أمة وأمة وثقافة وأخرى أو زمن وآخر، بل بين الأوربيين أنفسهم مثلا ، وبين العرب أنفسهم من قطر إلى قطر، ومن زمن على زمن، ومن تيار فكري أو سياسي على آخر، اعتبر رينان أن الذاكرات المشتركة والإرادة المشتركة تساوي الوح المشتركة التي تكون الامة، ورأى آخرون أن وطن الإنسان هويته، بينما هناك من فرق بين مفهوم الهوية الذي يتضمن الجوهر والثبات في الموقف في الكون والوجود ومفهوم الشخصية الذي يختزل التشكيل التاريخي الطبيعي الواقعي للفرد أو المجتمع او الامة أو الفكرة، أبرز الفروق هو أن الهوية تلغي التعدد لصالح التعدد الواحد بينما تولد الشخصية وتنمو عبر جدل دائم بين الواحد والكل، وتتطور عبر المحافظة على التعدد الفني.

لقد شكل مصير الهوية هاجسا شغل كثيرا من المثقفين ومن عامة العرب مؤخرا، في مواجهة عولمة توجهها طموحات امبراطورية أمريكية تحرص على إذابة الهويات القومية والوطنية والمحلية التي هي أكثر تعقيدا وتشابكا بين الأزمنة، والمكونات من أن تضمحل عندما تكون ذات أصالة وعراقة وامتداد حضاري موغل في القدم، والتأثير كما هو حال أمتنا العربية، هذا ما ضاعف من الاحتماء بالتراث والتاريخ واستلهامها، تشبها بالهوية.

في هذا الصدد يقول سامر محمد إسماعيل مقرعا بذلك جرس الإنذار مثلا، بقوله مثلا، بقوله "ويبرز المأزق العربي للفن التشكيلي عندما ندفع الأمور نحو التشكيك في المفاهيم الخاصة بالتصور العربي عن الكون والكائن، ليتعاظم دور الهوية عندما تشعر الانا الفنية الجماعية بالخطر، فيضطرب الإيقاع الروحي الداخلي لتجربة عصر بأكمله، ويصل الفنانون العرب إلى حالة من الشعور بالخطر الدائم فلم يعد يكفي أن يعلن الفنانون

العرب عن أنفسهم كعرب لكي يصلوا إلى هوية عربية لفنهم، بل يجب التأكيد من جديد على وصفه الواسطي التي تشهد اللوحة العربية.

إن المواد التي يستخدمها الفنان زجاجا او خشب أو جلد أو خزف أو معادن، ...إلخ، يعد بعدا متحركا عبر الزمان والمكان لهوية ثقافية عربية مشتركة، إنها هوية تشمل الفنون مثلما تشمل شتى مجالات الثقافة والحياة، ومن أهم ما جاء على لسان شاكر عبد الحميد:

- الفنون تقوم بتزويدنا بالوسيط المناسب للتعبير الشخصي وهي الحاجة العميقة التي يشعر بها الصغار والكبار.
- الفنون تقوم بتركيز الانتباه والطاقة وتساعد في عمليات الملاحظة الشخصية واللوعي الذاتي.
- الفنون ظواهر إنسانية عامة ووسائل للتخاطب الإنساني.
- تشمل الفنون على عناصر الصوت والحركة اللون والطاقة والمساحة والخط والشكل واللغة، وهذه العناصر إما نجدها منعزلة أو في حالة تركيب، تكون عناصر مشتركة في المفاهيم الأساسية في عديد الموضوعات الدراسية.
- إن الفنون تجسد، وتنقل زمنيا الارتقاء الثقافي والجمالي والاجتماعي للإنسان.
- إن الفنون هي تعبير ملموس عن الابداع الإنساني وفي حد ذاتها تعكس الادراك الأناني للعالم.